Route Educational & Social Science Journal
Volume 5(10) August 2018

Artical History
Received/ Geliş 13/6/2018 | Accepted/ Kabul 1/7/2018 | Available Online/yayınlanma 1/8/2018

أثر الحضارة الإسلامية في مجال العلوم الطبية

د. كريم ماهود مناتي
كلية الآداب / الجامعة المستنصرية

الملخص

أسهمت الحضارة الإسلامية بدور مهم في رفد الإنسانية بمختلف أنواع العلوم والمعارف، وكان لها قصب السبق في ميادين مهمة جعلت العالم بأسره يشيد بالإنجازات الإسلامية ويعدها الأساس في النهضة الأوربية، ففي البلدان الإسلامية نشأت العلوم العامة وازدهرت وانتشرت الى كل انحاء العالم من مشارق الأرض ومغاربها.

وكان للمسلمين الدور الريادي في علم مهم من العلوم التي ترتبط بالإنسان وصحته بوصفه أثمن رأسمال في الحياة، وشهدت العصور الإسلامية المختلفة نشاطاً ملحوظاً في الاهتمام بالعلوم الطبية، وترجمت كتب التراث العلمي للشعوب والأمم الأخرى للاستفادة منها في المجال الطبي.

فقد سبق ابن النفيس (ت687 هـ – 1288م) وقبله عبد اللطيف المهلبي (ت 552هـ – 1157م) في كتابه (تشريح الابدان) ما نسبه الغرب الى (هارفي) في مجال الدورة الدموية الصغرى. وكان للعالم الاسلامي حنين بن اسحق العبادي (260هـ) في كتابه (حيلة البرء) قصب السبق في وصف مرض السرطان واسبابه وأنواعه وعلاجاته. وكان لابن سينا (ت427هـ) أثر كبير في معرفة الأوربيين لعلوم الطب، كما ان دائرة المعارف البريطانية أشارت إلى أن العالم الإسلامي خلف بن عباس الزهراوي أشهر الجراحين الذين كانوا أول من استخدم ربط الشريان لمنع النزف، وترجمت كتبه الى الغرب، لاسيما كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) الذي طبعت مجلداته مع ترجمتها الى اللغة اللاتينية.

وكان المسلمون يكفلون تعلم الطب والتطبيب لكل راغب مؤهل له سواء اكان ذكراً أو انثى من اجل خدمة الإنسانية، فبرز منهم جمهرة كبيرة من العلماء والمفكرين استفادت من علومهم أوربا، يكفي ان نذكر ان أوربا استعملت لأكثر من مئتي سنة كتاب (كامل الصناعة الطبية) لعلي بن عباس الذي ترجم كتابه أحد المستشرقين الايطاليين ونسبه لنفسه.

وهكذا يتضح لنا ان الانجازات التي حققتها العلماء المسلمون في مجال العلوم الطبية تعد مفخرة لهم وكان لها أثرها الواضح على أوربا والإنسانية جمعاء، وشكلت جانباً مضيئا من جوانب الحضارة الاسلامية وتعبيراً عن نضجها وتطورها وازدهارها.

ويوصي الباحث بالتوصيات التالية:

1- إبراز دور العلماء المسلمين في المجالات العلمية المختلفة ليتعرف العالم الغربي على أثرهم في رفد الحضارة الإنسانية عبر التاريخ.
2- تسليط الضوء على أثر العلماء المسلمين في تشخيص الأمراض وتحضير الأدوية والتوصل إلى نتائج ظاهرة في معالجة الكثير من الأمراض التي لم يكن الأوربيون يعرفونها.

3- إبراز المعارف الطبية التي توصل إليها العلماء المسلمون رغم افتقارهم إلى أبسط أنواع التكنيك الطبي مثل المجهر الطبي الذي أحدث ثورة علمية في عالم الطب عند اختراعه، وغيرها من الأدوات والوسائل الطبية الضرورية للطب.

4- ضرورة عقد الندوات التخصصية لإبراز دور العلماء المسلمين في المجالات العلمية الأخرى، لأنَّ ذلك من شأنه أنْ يزيد التلاقح الحضاري بين الشعوب.

5- ضرورة الاهتمام بالمؤلفات الإسلامية وترجمتها إلى اللغات الحيَّة الأخرى، مثل الإنكليزية والهندية والفرنسية والفارسية وغيرها من اللغات الأخرى، وترجمة ما توصل إليه اليونان والفرس من علوم إلى اللغة العربية لكي يصب ذلك في الهدف المنشود ذاته.

6- يجب التأكيد والتوعية على أنَّ الطب مهنة أخلاقية إنسانية ترتكز على القيم الإنسانية قبل أنْ تكون مهنة ينتفع بها لغرض مادي مشروط، حيث أنَّها رسالة يقدمها حاملها إلى من يحتاج صديقًا كان أم عدونًا.

الكلمات المفتاحية: الحضارة الإسلامية، المسلمون.

Abstract

The Islamic civilization contributed in providing humanity with different sciences and knowledge, and it was advanced in important fields that made the whole world applaud the Islamic achievements and considers it the basis in the European renaissance, in the Islamic countries the important sciences were established and prospered and spread to the whole world from the east to west. And the Muslims were the pioneers in a science that is related the human health regarded as the most precious capital in life. And the different Islamic eras witnessed a noticeable activity in focusing on the medical sciences and the scientific Heritage of other nations were translated to use it in the medical field. IBN AL-NAFEES (687 AH-1288AD) and before him ABDULLATEEF AL-
MUHALABI (552AH-1157A) in his book autopsy of the corpses what the west claimed to be Harvey's in the field of the Pulmonary Circulation, and the Arabic HUNEIN BIN ISHAQ AL-ABBADI (260AI-I) in his book (HEELAT AL-BURE) the precedent in describing the cancer and its causes and types and remedies. And IBN SINA (428AH) had a great influence in the European knowledge in medicine, also the British encyclopedia made reference that the Islamic scientist IBN ABBAS
AL-ZAHRAWI is the most famous surgeon who used the artery wrap to stop the bleeding, and his books were translated o the west, his book (AL-TASREEF LEMAN AJAZA AN AL-TAELEEF) that its volumes were printed with the translation to the Latin language.

And the Muslims sponsored the learning of medicine to whoever wishes to learn either a male or female for the sake of serving humanity and a group of them became known and Europe benefitted from their sciences, we mention that Europe used for more than two hundred years the book — KAMIL AL-SINAEH AL-TIBIYAH- by ALI BIN ABBAS whose book was translated by an Italian Orientalist and claimed to be his own.

We notice that the achievements of the Islamic scientists in the medical field is a pride for them and has clear effect on Europe and humanity, and established a bright era 11 the Islamic civilization and expresses its maturity and development and prosperity.

The researcher recommends the following:

1 .showing the role of the Muslim scientists in the scientific fields in order for the world to recognize their effect in spreading the human civilization
through the history.

2 .shedding the light on the Islamic scientists role in diagnosing the diseases and making the medication and reaching obvious results in treating a lot of diseases that the Europeans did not even know about.

3 .Showing the medical knowledge of the Muslim scientists despite the lack of the simplest medical technology such as the microscope that made a scientific revolution in medicine and other necessary medical tools.

4 .The importance of holding specialized seminars to show the role of the Muslim scientists in the other scientific fields, because it shall increase the mental interactivity between the nations.

5. The importance Islamic books and translating them to the other live languages, such as English, Indian, French, Farsi, and other live languages.
And translating what the Greece and Persians claimed to be theirs, to serve the same purpose.

6. It should be emphasized that medicine is ethical profession based on the human values before considering as a profession practiced for money, it's a mission provided by the practitioner to who needs it a friend or enemy.

The keywords: Islamic civilization, British encyclopedia, The Muslims.

المقدمة

أسهمت الحضارة الإسلامية بدور مهم في رفد الإنسانية بمختلف أنواع العلوم والمعارف، وكان لها قصب السبق في ميادين مهمة جعلت العالم بأسره يشيد بالانجازات الإسلامية ويعدها الأساس في النهضة الأوربية، ففي البلدان الإسلامية نشأت العلوم العامة وازدهرت وانتشرت الى كل انحاء العالم من مشارق الأرض ومغاربها.

وكان للمسلمين الدور الريادي في علم مهم من العلوم التي ترتبط بالإنسان وصحته بوصفه أثمن رأسمال في الحياة، وشهدت العصور الإسلامية المختلفة نشاطاً ملحوظاً في الاهتمام بالعلوم الطبية، وترجمت كتب التراث العلمي للشعوب والأمم الأخرى للاستفادة منها في المجال الطبي.

فقد سبق ابن النفيس (ت 687 هـ – 1288م) وقبله عبد اللطيف المهلبي (ت 552هـ – 1157م) في كتابه (تشريح الابدان) ما نسبه الغرب الى (هارفي) في مجال الدورة الدموية الصغرى. وكان للعالم الاسلامي حنين بن اسحق العبادي (260هـ) في كتابه (حيلة البرء) قصب السبق في وصف مرض السرطان واسبابه وأنواعه وعلاجاته. وكان لابن سينا (ت: 427هـ) أثر كبير في معرفة الأوربيين لعلوم الطب، كما ان دائرة المعارف البريطانية أشارت إلى أن

العالم الإسلامي خلف بن عباس الزهراوي أشهر الجراحين الذين كانوا أول من استخدم ربط الشريان لمنع النزف، وترجمت كتبه الى الغرب، لاسيما كتابه (التصريف لمن عجز عن التأليف) الذي طبعت مجلداته مع ترجمتها الى اللغة اللاتينية.

وكان المسلمون يكفلون تعلم الطب والتطبيب لكل راغب مؤهل له سواء اكان ذكراً أو انثى من اجل خدمة الإنسانية، فبرز منهم جمهرة كبيرة من العلماء والمفكرين استفادت من علومهم أوربا، يكفي ان نذكر ان أوربا استعملت لأكثر من مئتي سنة كتاب (كامل الصناعة الطبية) لعلي بن عباس الذي ترجم كتابه أحد المستشرقين الايطاليين ونسبه لنفسه.

وهكذا يتضح لنا ان الانجازات التي حققتها العلماء المسلمون في مجال العلوم الطبية تعد مفخرة لهم وكان لها أثرها الواضح على أوربا والإنسانية جمعاء، وشكلت جانباً مضيئا من جوانب الحضارة الاسلامية وتعبيراً عن نضجها وتطورها وازدهارها.

ويوصي الباحث بالتوصيات التالية:

7- إبراز دور العلماء المسلمين في المجالات العلمية المختلفة ليتعرف العالم الغربي على أثرهم في رفد الحضارة الإنسانية عبر التاريخ.

8- تسليط الضوء على أثر العلماء المسلمين في تشخيص الأمراض وتحضير الأدوية والتوصل إلى نتائج ظاهرة في معالجة الكثير من الأمراض التي لم يكن الأوربيون يعرفونها.

9- إبراز المعارف الطبية التي توصل إليها العلماء المسلمون رغم افتقارهم إلى أبسط أنواع التكنيك الطبي مثل المجهر الطبي الذي أحدث ثورة علمية في عالم الطب عند اختراعه، وغيرها من الأدوات والوسائل الطبية الضرورية للطب.

10- ضرورة عقد الندوات التخصصية لإبراز دور العلماء المسلمين في المجالات العلمية الأخرى، لأنَّ ذلك من شأنه أنْ يزيد التلاقح الحضاري بين الشعوب.

11- ضرورة الاهتمام بالمؤلفات الإسلامية وترجمتها إلى اللغات الحيَّة الأخرى، مثل الإنكليزية والهندية والفرنسية والفارسية وغيرها من اللغات الأخرى، وترجمة ما توصل إليه اليونان والفرس من علوم إلى اللغة العربية لكي يصب ذلك في الهدف المنشود ذاته.

12- يجب التأكيد والتوعية على أنَّ الطب مهنة أخلاقية إنسانية ترتكز على القيم الإنسانية قبل أنْ تكون مهنة ينتفع بها لغرض مادي مشروط، حيث أنَّها رسالة يقدمها حاملها إلى من يحتاج صديقًا كان أم عدونًا.

أثر الحضارة الاسلامية في العلوم الطبية

كان للعلماء المسلمين اثر كبير في العلوم الطبية ولم يتوقفوا عند تخصص معين، وانما طوروا امكاناتهم في هذا المجال ليمتد الى مجالات متعددة، وأصبحت لهم تخصصات متعددة في علم الجراحة وعلم التشريح والطب النفسي

وطب العيون وطب الاطفال وغيرها، كما تمكنوا من تطوير اساليب العلاج وطرقه واكتشاف الدواء للإمراض المختلفة، وأضحت لهم مدارس طبية منتشرة في أرجاء العالم الاسلامي، ولم يقصروها على بلد معين أو محدد[1].

لم يكتف العلماء المسلمون باكتشافاتهم العلمية في المجال الطبي، وانما اهتموا كذلك بالجوانب الانسانية مثل التعامل الايجابي مع المرضى قبل الاهتمام بالأجور، ولم يترددوا عن وصف الامراض وعلاجها عن طريق الاغذية والاعشاب ووضع هذه المعلومات في كتاب يتداوله المرضى، لاسيما الفقراء منهم الذين لا يستطيعون شراء الادوية الغالية الثمن، فضربوا بذلك أروع الامثلة في وضع معلوماتهم وخبراتهم الطبية بمتناول العامة لكي تشيع الثقافة الطبية بين صفوف المجتمع بدلاً من شراء الادوية المرتفعة الثمن[2].

واهتم العلماء المسلمون بطلبتهم الذين درسوهم، فلم يبخلوا عليهم بعلومهم الطبية، وطلبوا منهم ان يثبتوا المعلومات التي يلاحظونها في اثناء دراستهم وعلاجهم للمرضى لكي تبقى هذه المعلومات والملاحظات مرجعاً للآخرين الذين يأتون بعدهم للعمل في هذا المجال، كما طلبوا منهم ان ينكبوا على البحث والدراسة وعدم الاكتفاء بما لديهم من معلومات لان الطب يتطور ولا يمكن ان يقف عند حد معين، ويكفي ان نذكر ان العالم الرازي[3] حث طلبته على اتباع منهج الكتابة والتأليف، فطالما قال لهم: " اذا جمع الطالب اكبر قدر من الكتب وفهم ما فيها، فان عليه ان يجعل لنفسه كتاباً يضمنه ما غفلت عنه الكتب التي قرأها"[4].

ولكي يكون العلماء المسلمون قدوة لطلبتهم فان كلاً منهم ألف كتب عدة في مجال الطب المختلفة، وأصبح لهم العديد من المصنفات والكتب المتنوعة، وبرز منهم علماء اعلام في المجال الطبي، يقف على رأسهم ابن النفيس مكتشف الدورة الدموية وابن سينا والرازي وابو القاسم الزهراوي الذي يعد رائد علم الجراحة الطبية وغيرهم من العلماء المسلمين الذين وضعوا عصارة علومهم في خدمة الانسانية.

لقد سبق العلماء المسلمون كثير من علماء الغرب في التوصل الى اكتشافات طبية مهمة، فان (هارفي) لم يتوصل الى معرفة الدورة الدموية الصغرى، وانما سبقه في هذا الاكتشاف العلمي ابن النفيس (ت 687هـ/ 1288م)، الا ان من المؤسف ان نجد ان الكتاب الغربيين تناسوا دور العلماء المسلمين ونسبوا بعضاً من الانجازات الطبية لعلمائهم الذين كانوا متأخرين زمنياً عن اؤلئك الرواد، وفي ذلك اجحاف وبعداً عن الحقيقة التاريخية[5].

كما ان العواصم الاسلامية المزدهرة في العصور المختلفة كانت قبلة رواد العلم والمعرفة في المجال الطبي، فقد وفد اليها العلماء الاجانب لينهلوا من علومها الطبية ومعارفها المختلفة، فيكفي ان نذكر ان الطب ولد ونشأ وازدهر من الحواضر والعواصم الاسلامية لينتشر في مشارق الارض ومغاربها، فكان الاطباء الغربيون يستفيدون من دراستهم

([1]) شوقي ابو خليل، دور الحضارة العربية الاسلامية في الحضارة الاوربية، دار الفكر، دمشق، 1996، ص 98- 99.

([2]) ينظر: عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الاسلامية، ط3، دار المعارف، مصر، 1994، ص 115-116.

([3]) للتفصيل عنه وعن انجازاته الطبية يراجع: جلال مظهر، حضارة الاسلام وأثرها في الترقي العالمي، مكتبة الخانجي، القاهرة،1974، ص321-324؛ علي عبدالله الدفاع، رواد علم الطب في الحضارة العربية الاسلامية، القاهرة، 1974، مؤسسة الرسالة، بيروت 1998، ص 218-222.

([4]) مقتبس من: راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الاسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2009، ص 199.

([5]) اسامة ناصر النقشبندي، الاورام السرطانية في المخطوطات العربية وأثرها على علماء العالم الاسلامي واوربا، بغداد، 2010، ص 73.

المباشرة في عواصم المسلمين أو عن طريق كتبهم الموضوعة والمترجمة، لاسيما في العصر العباسي الذي شهد تطوراً وتميزاً واسعاً في مجال العلوم والمعارف، ومنها المجال الطبي، الذي فتحت مجالاته امام الجميع مسلمين وغير مسلمين، واثري هذا الميدان بالاكتشافات الطبية الاسلامية الى وصلت الى الغرب[6].

ومع ذلك فان بعض المستشرقين الذين ترجموا بعض مؤلفات العلماء المسلمين نسبوها لأنفسهم متناسين الدور الريادي للعلماء المسلمين، فعلى سبيل المثال لا الحصر، نشر (قسطنطين الافريقي) كتباً كبيرة في الحجم، مهمة في المحتوى، واستفادت منها أوربا لأكثر من مئتي عام، ثم تبين فيما بعد ان هذه المؤلفات هي ترجمة لكتاب (كامل الصناعة الطبية) للمؤلف الإسلامي في المجال الطبي علي بن عباس الذي نشره سنة 384هـ وركز فيه على الأمراض السرطانية التي تصيب الانسان، وقد كشفت هذه السرقة العلمية بعد إن قام أحد المستشرقين الايطاليين بترجمة الكتاب الأصلي المعنون (كامل الصناعة الطبية)[7].

لم يمنع ما قام به (قسطنطين الافريقي) من نسبة ما توصل اليه العالم المسلم علي بن عباس مستشرقين آخرين منصفين من الإشادة بدور العلماء المسلمين وريادتهم في العلوم الطبية، فيكفي ان نذكر ان آدم متز قال بحق سنان بن ثابت انه " فضلاً عن تضلعه في الطب ومهارته في الصنعة كان مؤرخاً، وقد وصفته المصادر بالطبيب المؤرخ وبصاحب التاريخ"[8]، الأمر الذي يدلل على ان العلماء المسلمين أو غير المسلمين من الذين درسوا في العواصم الاسلامية لم يكتفوا بعلم واحد او تخصص محدد، وانما كانوا شموليين وموسوعيين في علومهم.

انجازات العلماء المسلمين في المجالات الطبية:

كان للعلماء المسلمين قصب السبق في كثير من المجالات الطبية التي لم تكن أوربا قد عرفتها، ومن هذه المجالات التخصصية الدقيقة، هو الطب العقلي النفسي الذي بز فيه العلماء في العالم الاسلامي غيرهم من الاوربيين الذين كانت شعوبهم تعيش مرحلة الجهل والعبودية في العصور الوسطى المظلمة، فقد كانت اوربا تعتقد ان المجانين مثلاً هم " المغضوب عليهم والمعاقبين من قبل الرب بسبب الخطايا التي قاموا بها هم أو ذووهم، لذا استوجبوا سخط الانسان كذلك"[9]، الا ان العلماء المسلمين في مجال الطب العقلي النفسي غيروا هذه النظرة لدى الاطباء الاوربيين عندما اكدوا ان الذي يهتم بدراسة الطب العقلي لابد ان يعالجهم بأسلوب نفسي وان يتخلى عن اسلوب الحبس والضرب الشديد والجوع والعطش وضرورة عدم احراقهم كما كان يتم في اوربا، وبالإمكان معالجتهم بوسائل اخرى. ويكفي أن نذكر أنَّ الطبيب بن سينا تمكن من خلال استخدامه الإيحاء أنْ يعالج مرضاه بشكل مقنع، فقد أشار إلى أنَّ على الطبيب أنْ يتأمل حال المريض الذي توهّم أنَّه صح، والصحيح الذي توهّم بأنه مرض، فإن كثيرًا ما يعرض من

(6) صباح ابراهيم الشيخلي، أثر بغداد الفكري على الاندلس، الطب أنموذجاً، بغداد، 2010، ص 37.
(7) اسامة ناصر النقشبندي، المصدر السابق، ص 74.
(8) مقتبس من: حسن عيسى الحكيم، اجازة الاطباء ببغداد في القرن الرابع الهجري، بغداد، 2010، ص 68.
(9) مقتبس من: جون هيز، المصحات العثمانية في اوربا في القرون الوسطى، ترجمة: نضال الهر، بلا، 1960، ص 53.

ذلك أنْ يكون إذا تأكدت الصورة في نفسه وفي وهمه انفعل فيه عنصره (أي جسمه)، فكان الصحيح أو المرض، ويكون ذلك أبلغ مما يفعله الطبيب بآلات ووسائط..[10].

إن أساس ما توصل اليه العلماء المسلمون في معالجة مرضى الامراض العقلية هو الاسلام وما جاء به من مفاهيم وتعاليم حضارية انسانية انطلاقاً من القاعدة الفقهية لدى المسلمين ازاء مرضى العقول وهي " أخذ ما وهب – سقط ما وجب" أي ان فاقد العقل تسقط عنه تبعات اقواله وأعماله، الأمر الذي جرت عليه التشريعات الاسلامية، اذ أوصى علماء الطب النفسي الاسلامي ضرورة اعطاء رعاية خاصة لهؤلاء المرضى والتوقف عن ايذائهم ومطاردتهم، واتبعوا معهم اسلوباً حضارياً ساعد على شفاء العديد منهم من خلال اعطائهم فرص التنفيس عن عقدهم وانفعالاتهم المكبوتة، مما خفف عنهم وطأة المرض[11].

لقد تم انشاء عدة مصحات لمرضى العقول في بغداد في القرن الثامن الميلادي ورصدت لهم الكوادر الساهرة على راحتهم والموارد المالية الكافية لإقامتهم وتغذيتهم التغذية الجيدة والترفيه عنهم، وتبع ذلك انشاء عدة مستشفيات في دمشق والقاهرة، ثم لحقتها مدينة (فاس) في القرن الثالث عشر الميلادي، واشتهر مستشفى السلطان العثماني (بايزيد الثاني) في استانبول عام 1500م بمعاملته الانسانية كذلك[12].

كان من جملة وسائل العلاج التي طبقها علماء المسلمين في المجال النفسي، الموسيقى الهادئة والحمامات الباردة والساخنة مع حمية خفيفة بوجبات أكل مغذية والتنزه بحدائق جميلة غناء فيها النافورات ملحقة بتلك المستشفيات، وحذر الاطباء المسلمون من استخدام الشدة باي حال من الاحوال، وحتى التكلم بأصوات عالية حرصاً على راحة المرضى النفسيين، كما الحقت بهذه المستشفيات مراكز توزيع الادوية حتى كانت توزع مجاناً للفقراء والاغنياء على حد سواء[13].

برز من بين اطباء الطب العقلي النفسي الفيلسوف الاسلامي الطبيب ابن رشد (1126- 1198م) الذي ترجمت مؤلفاته الى اللغات الاوربية للاستفادة منها في هذا المجال وفي مجالات طبية أخرى، فانتقلت علومه ومعارفه الطبية الى المعاهد العلمية في عواصم البلدان الاوربية المختلفة وكان للعلماء المسلمين في مجال الطب شخصيات أخرى امثال الرازي (865= 925م) وابن سينا (980-1037م) وابن زهر (1090-161م) فضلاً عن ابن رشد وغيرهم من العلماء المسلمين الذين ترجمت مؤلفاتهم وأعمالهم الى اللغات الاوربية من خلال مدرسة (سالرنو) الايطالية، فاستفاد منها العلماء الاوربيون وادخلوها في مؤسساتهم العلمية الطبية[14].

أثرت علوم العلماء المسلمين على الحضارة الاوربية، لاسيما ايام ازدهار الحضارة في بغداد والقاهرة والمغرب العربي والاندلس، فكان لهم تأثيرهم على الاوربيين في العصور المظلمة، وقد حصل ذلك عن طريق اختلاط الاوربيين

([10]) ابن سينا، علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي الملقّب ابن سينا (ت: 427هـ)، الشفاء، تحقيق: نبيل شاكر العرفاوي، بغداد، دار الرشيد، ص344.

([11]) عبد الخالق الصيدلي، معالجة مرضى الامراض العقلية عبر العصور، بغداد، د.ت، ص 112.

([12]) فائق علي عيسى، نبذة تاريخية مختصرة عن الطب النفسي، بغداد، 1993، ص180.

([13]) المصدر نفسه، ص 180-181.

([14]) فائق علي عيسى، المصدر السابق، ص 181.

بالعرب في القرنين السادس والسابع عشر الميلاديين وبفضل اطلاعهم على المدارس الطبية الاسلامية والمصحات التي كانت في العواصم الاسلامية والمستشفيات وعلى كتب المترجمين العرب عن الاغريقية وعلى ما اضافوا عليها من علوم مستجدة، لتتسرب العلوم الطبية الاسلامية الى أوربا في وقت كانت تعيش فيه الاخيرة حالة التخلف والعبودية[15].

أجاد العلماء المسلمون في كل فن من فنون الطب، ولم يكتفوا بما لديهم من معارف وخبرات ثرة، وانما صححوا للأوربيين عدداً من نظرياتهم، فيكفي ان نذكر ان العالم الاسلامي ابن النفيس عارض نظرية جالينوس الذي كان يقول بوجود ثقب بين بطيني القلب الايمن والايسر، فصحح له ابن النفيس ذلك الخطأ، وبضوئه ابتكر الدورة الدموية الصغرى، ولم يكتف العلماء المسلمون بهذا الانجاز، وانما نحوا منحى جديداً، عندما اتخذوا منهجاً مغايراً لما كان عليه قبل ذلك، اذ اتخذوا المنهج العلمي التجريبي في دراسة وممارسة علم الطب، وبنوا المستشفيات والجامعات الطبية في معظم العواصم الاسلامية[16].

توضح لنا انظمة المستشفيات (البيمار ستانات) في العواصم الاسلامية والوظائف التي كان يقوم بها الاطباء والصيادلة والجراحين والمضمدين وغيرهم من العاملين في هذه المؤسسة الطبية جانباً مضيئاً من معالم الحضارة العربية الاسلامية التي اهتمت بالانسان، رجلاً كان أم امرأة في حالتي الصحة والمرض، إذ اهتمت (البيمار ستانات) بالجنين وصحة أمه منذ ما قبل الحمل واثناءه، وكذلك الاهتمام برعاية صحة الاطفال والصبيان وهم في مدارج النمو ليصلوا الى مرحلة مُرضية من النمو الجسدي والاستواء النفسي المستقر على مدى عمر الانسان[17].

وكان لكل (بيمارستانان) صيدلية تسمى (شراء بجاناه) ولها رئيس يسمى (شيخ صيدلي البيمارستان)، ويسمى رئيسه (ساعور البيمارستان) أي (متفقد المرضى)، ولكل قسم في البيمارستان رئيس يساعده العاملون من الرجال والنساء، والمشرفون والقوام للخدمة، ولهم جميعاً أجور معينة[18].

لم يكن يسمح ان يمارس الطب في المدن الاسلامية الا لمن يخضع لامتحان طبيب بارع في اختصاصه في خطوة لمنع بعض المتطببين من دخول هذه المهنة والاعتياش منها، فعلى سبيل المثال كلف الخليفة المقتدر بالله العباسي الطبيب ابو الحسن ثابت بن سنان الحراني ان يختبر من يمارس مهنة الطب في بغداد ويكتب لمن يجتاز الامتحان رقعة بخطه لكي يمارس هذه المهنة، ومن لا يجتاز الامتحان لا يسمح له بان يمارس الطب، فوصل عدد الاطباء في جانبي بغداد ثمانمائة رجل وستين ونيفاً في عام 319هـ[19].

توصل العلماء المسلمون الى معرفة نوع من الاورام السرطانية سماه حنين بن اسحق العبادي (ت 260هـ) (حيلة البرء) وهو السرطان، كما شخصه العالم الاسلامي الرازي (ت 260هـ) عندما اشار اليه قائلاً "السرطان يحدث من الدم السوداوي"، وبين الفرق بين السرطان والورم الصلب، كما تحدث عن السرطانات التي تصيب بدن الانسان مثل سرطان الثدي والرحم وسرطان العين، وذكر العلاجات والادوية المناسبة لهذه السرطانات، وقد تأثر به ابن نوح

([15]) اديب توفيق الفكيكي، تاريخ اعلام الطب الحديث، بغداد، 1993، ص 180.

([16]) راغب السرجاني، المصدر السابق، ص 33- 34.

([17]) حسين عمر حمادة، صور مشرقة من حضارة بغداد في مجال البيمرستانات، بغداد، 2010، ص 28.

([18]) المصدر نفسه، ص 29.

([19]) حسن عيسى الحكيم، المصدر السابق، ص 70.

القمري (ت 380هـ) في كتابه (المغني في الطب)، ونقل اراءه نفسها، كما نقل هذه المعلومات وتوسع بها علي بن عباس في كتابه (كامل الصناعة الطبية) الذي تناول فيه انواع السرطانات مثل سرطان الكبد وقرنية العين والاورام التي تصيب بدن الانسان وقال بهذا الصدد: " اذا استحكم وعظم ولم يمكن فيه العلاج ولا يكاد يبرأ يستعمل فيه القطع بالحديد اذا كان في عضو يمكن استئصاله وقطعه حتى لا يبقى شيء من أصله فاذا لم يمكن فيه ذلك فانه ينتشر ثانية "[20].

شاع تناول هذه المعلومات الطبية المهمة عند العديد من علماء الشام ومصر وسمرقند وبلاد ما وراء النهر مثل ابن اسحق الكركي (ت 685هـ) في كتابه (عمدة الجراحين) والطبيب (ابن نفيس الكرماني) في كتابه (شرح الاسباب والعلامات) وركن الدين بن مسعود في كتابه (المقاصد في الطب) الذي نقل عن نفيس بن عوض الكرماني، وكان للشيخ الرئيس ابن سينا (ت 427هـ) اثر كبير في كتابات هؤلاء الاطباء وغيرهم[21].

ان ابرز انجازات العلماء المسلمين في مجال العلوم الطبية تكمن في علم الجراحة التي تمكنوا من استخراج حصى المثانة لدى النساء عن طريق المهبل، كما توصلوا الى وصف دقيق لعملية نزف الدم، واشاروا الى العامل الوراثي في ذلك، كما كتبوا عن جراحة الاسنان وتقويمها وجراحة العين وجراحة التجميل في الشفة والانف والاذن، واخترعوا ادوات الجراحة، وطوروا ما وصلهم من الامم التي سبقتهم، واستخدموا (اللوالب) في التوليد، والمحاجم والمحاقن، كما استخدموا أدوات دقيقة لاستئصال الاورام والناسور مثل (المشرط)، كما عرفوا (التخدير) عن طريق الاستنشاق، وعرفوا التشريح، وبرع ابن طفي (ت 581هـ) في تشريح الاجسام الميتة[22].

وفي طب العيون كان للعلماء المسلمين الدور الريادي في وصف الامراض التي تصيب العين حتى بلغ مجموعها نحو 130 مرضاً[23]. والفوا الكتب المتعددة في كيفية معالجة هذه الامراض، ومنها كتاب القاضي المصري فتح الدين ابو العباس القيسي (ت 657 هـ) الذي احتوى على (15) فصلاً في علم الرمد[24].

لم يغفل العلماء المسلمون في حقل الطب المرأة وطفلها، فعدوها نصف المجتمع وان الاهتمام بصحتها وصحة طفلها من مستلزمات المجتمع القويم، فأولوا هذا الجانب اهتماماً استثنائياً، فبحثوا بأمراض النساء والحوامل وما يعتريها من امراض اثناء هذه المدة الحساسة من حياتها، كما بحثوا في الاخصاب وتطور وضع الجنين بعد ذلك، وضرورة مراعاة الجانب النفسي للمرأة الحامل، وبالغذاء الذي تتناوله لأنه قد يؤدي الى اضطراب معدتها[25].

([20]) مقتبس من: المصدر نفسه، ص 74.

([21]) للتفصيل عن أثره الطبي راجع: ابن سينا، علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي الملقّب ابن سينا (427هـ)، القانون في الطب، تحقيق: محمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999، ج2، ص 754 – 756.

([22]) للتفصيل يراجع: راغب السرجاني، المصدر السابق، ص 45- 57.

([23]) ابن ابي اصيبعة موفق الدين ابو العباس أحمد بن قاسم، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ج2، تحقيق: عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001، ص 63.

([24]) فرات فائق خطاب، الكحالة عند العرب، منشورات وزارة الاعلام، بغداد، 1975، ص43-44.

([25]) ابن سينا، المصدر السابق، ج2، ص771.

ولم يغفل العلماء المسلمون شريحة الأطفال، فلابن سينا رسالة في علم الأخلاق، وللإمام الغزالي كتاب في هذا الصدد، ولابن مسكويه آراؤه في كيفية الوقاية من الأمراض النفسية، فمثلًا أكد ابن مسكويه أنَّه إذا كان طب الأبدان ينقسم إلى قسمين أحدهما حفظ صحتها، إذا كانت حاضرة، والأخر ردها إليها إذا كانت غائبة وجب أن نقسم طب النفوس هذه القسمة بعينها فتراها إذا كانت غائبة وتتقدم في حفظ صحتها إذا كانت حاضرة، فنقول إذا كانت خيرة فاضلة.. فيجب على صاحبها أن يعاشر من يجانسه ويطلب من يشاكله ولا يأنس بغيرهم ولا يجالس سواهم ويحذر كل الحذر من معاشرة أهل الشر والمجون[26].

تمكن الاطباء المسلمون من معالجة امراض عديدة ظهرت في اوقاتهم منها مرض الشلل والنزف وخلع الكتف بطرق تشبه الطرق الجراحية الحديثة، وتوصلوا الى فكرة استعمال التبخير لقتل الجراثيم، وكان لهم قصب السبق في وصف مرض (الجذام) وامراض العيون، واستخدام الماء البارد في علاج التيفوئيد، كما وصفوا مرض الجدري والحصبة، كما تمكنوا من تشخيص الديدان وما تسببه دودة (الانكلستوما) من مرض سموه (الرهقان) " الانكلستوما"، ووصف العالم المسلم ابن سينا الفار الفارسية (الجمرة الخبيثة)، كما سبق ابن سينا العالم الطبي الايطالي دوبيني في اكتشافه للدودة المسببة لمرض (الانكلستوما)، إذ لم يكتشفها دوبيني الا في عام 1260هـ، في حين اكتشفها ابن سينا قبله وبسنوات طويلة[27].

وكان للأطباء المسلمين اثرهم في سبق غيرهم من الاطباء الغربيين عندما وضعوا أسس ما عرف بالفحص السريري للمريض من خلال تتبع وضعه الصحي وتاريخ المرض الذي أصابه من خلال الكشف عليه ومتابعة تطوره، ومقياس درجة حرارته ونبضه ومعرفة بول المريض وما الى ذلك من جوانب مهمة تسهل على الطبيب تشخيص المرض ووضع العلاج المناسب له[28].

وتمكن الرازي من ابتكار طريقة تجربة الادوية على بعض الحيوانات لمعرفة مدى تأثيرها عليها، فجرب على القرود واذا ما اثبت الدواء فعاليته، فانه كان يبدأ باستخدامه مع الانسان، وهذه الطريقة تستخدم في الطب الحديث، ولا تجاز الا بعد ان تثبت كفاءتها على الحيوانات التي لم تقتصر على القرود، وانما امتدت الى حيوانات اخرى، فتوصل الاطباء بفضل ما حققه الرازي من اسلوب علمي متميز الى نتائج مذهلة[29].

فقد كان للرازي أسلوبه في اللجوء إلى الإيحاء كطريقة علاج للمرضى وتخليص الطب من نطاق الشعوذة والسحر، فأبدع في هذا الميدان الذي يعرف بالعلاج النفسي (Psychology)، فقال بهذا الصدد ((لا توهم العليل أنَّ به مالينخوليا، لكن ان ما تعالجه من سوء الهضم فقط، وساعده على كثير من رأيه وألهمه فرحّة وأشغله عن الفكر))[30].

([26]) ابن مسكويه، أبو علي أحمد بن محمد بن يعقوب (ت: 421هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مطبعة بولاق، مصر، 1892م. ص201.

([27]) راغب السرجاني، المصدر السابق، ص 75- 76.

([28]) ابن ابي اصيبعة، المصدر السابق، ج 3، ص 27.

([29]) راغب السرجاني، المصدر السابق، ص 194- 195.

([30]) الرازي أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا (ت: 311هـ)، منافع الأغذية، تحقيق: عاصم عيتاني، دار إحياء العلوم، 1993، ص18.

وتمكّن الرازي من معالجة حلات هستيرية عن طريق العلاج النفسي، مما يدلل على معرفته الدقيقة بطبيعة هذا المرض وإدراكه تأثير الانفعالات النفسية على الجسم، فمن عالجهم بهذه الطريقة جارية كانت تعاني من صداع شديد فمسح على رأسها بالعلاج فخفّ ما بها بعد أنْ كانت لا تتكلم البتّة[31].

وأدرك الرازي أهمية معالجة الأمراض النفسية بالوسائل الترفيهية الاجتماعية، مثل السفر وتبديل محل الإقامة والموسيقى والتماس الفرح والتنزّه والترفيه، فقال بهذا الصدد ((إذا أزمن بالمريض المرض وطال فانقله إلى بلد مضاد المزاج لمزاج علّته.. فكثيرًا بريء خلق كثير من المالينخوليا بطول السفر))[32].

وكان للإمام الغزالي آراؤه في دراسة سايكولوجية الأطفال وتربيتهم ومعرفة خصائص النفس البشرية وطرق معالجتها، فقال: ((إنَّ الصبي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهرة نفسية ساذجة خالية عن كل نقش وصورة، وهو قابل لكل نقش مائل إلى كل ما يمال إليه، فإنْ عود الخير وعلمه، نشأ قلبه وسعد في الدنيا والآخرة... وإنْ عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك))[33].

وهكذا يتضح لنا الدور الكبير الذي قام به العلماء المسلمون في حقول العلوم الطبية وقدموا خيرة علومهم للإنسانية جمعاء.

الخاتمة

كان للعلماء المسلمين أثر مهم في تعزيز العلوم الطبية، وتمكنوا من اكتشاف امراض عديدة، ووضعوا لها العلاجات المناسبة، فخدموا بذلك الانسانية كثيراً، وقللوا من آلام الناس، وتركوا للأجيال اللاحقة تراث طبي يشاد له بالبنان.

لم يتخصص العلماء المسلمون باختصاص طبي محدد، وانما تناولوا كل انواع واشكال وتخصصات الطب بنوعيه العام والخاص، فكانت لهم نتاجاتهم وابداعاتهم في مجال الجراحة والتجميل وطب الاطفال والطب النفسي والامراض العقلية وطب العيون وغيرها من فروع الطب الأخرى، كما كانت لهم ريادتهم في مجال التجارب على حيوانات معينة مثل القرود، ومن ثم تحويلها الى الانسان للحفاظ على حياته واستمرار مسيرته الصحية بعد التأكد من النتائج الجيدة والايجابية التي اختبروها على الحيوانات وحقق هؤلاء العلماء نتائج باهرة في مجال التعريف بمرض السرطان وانواعه وعلاجاته واغنوا العلوم الطبية بما توصلوا اليه في هذا المجال.

عد المجال الطبي واحداً من أهم وظائف الدولة الاسلامية في عصورها المختلفة، فتم الاهتمام بالأطباء والبيمارستانات (المستشفيات) ونظامها واطباؤها وارزاقها، الأمر الذي عزز من دور العلماء المسلمين في المجتمع ودفع بالأطباء لمزيد من العطاء والاندفاع في ابحاثهم ودراساتهم الطبية، فقدمت الحضارة العربية لاوربا ما عزز اهتمامها بالمجالات الطبية التي تعد أهم المجالات الانسانية.

([31]) الرازي، أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا (ت: 311هـ)، الحاوي في الطب، تحقيق: محمد محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م، ج1، ص258.

([32]) الرازي، أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا (ت: 311هـ)، الفصول، تحقيق: ألبير زكي إسكندر، مطبعة القاهرة، 1995، ص116.

([33]) الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين، مطبعة المعارف، مصر، 1969، ج3، ص62.

لم يحتكر العلماء المسلمون ما توصلوا اليه من معارف وانجازات طبية، وانما كانوا كرماء في تعليم ابناء جلدتهم اسرار صناعة الطب والعلاجات المطلوبة للأمراض السائدة في عصرهم، ولم يكتفوا بنشر مؤلفاتهم في المشرق الاسلامي، وانما اهتموا بترجمة مؤلفات الامم الأخرى، لاسيما اليونانية منها، فأعادوا ترجمة كتب العقاقير الطبية من أجل ان يستفيدوا منها، ومن بعدهم طلبتهم الذين ساروا على منوالهم في طلب العلم والمعرفة الطبية، ونجد في مؤلفات كتب الطب بصورة لا تقبل الشك أهمية ثمرة الاتصال العلمي بين العواصم الاسلامية والغرب، حيث وجدت نتاجات العلماء المسلمين في حقل المعرفة الطبية مثل كتب ابن سينا والرازي وابن رشد والزهاوي وغيرهم، مجالاتها في خدمة الانسانية جمعاء، بعد ان ترجمت العديد من مؤلفاتهم الى اللغات الاجنبية.

وختاماً فان أثر الحضارة الاسلامية في العلوم الطبية لا يمكن ان يتحدد بدراسة واحدة، وانما، وبحكم شموليته واتساعه، وامتداد هذا الاثر ليشمل مختلف الاختصاصات الطبية، فانه بحاجة الى دراسات معمقة أخرى لا تكتفي ببحثه أفقياً وانما يجب الغوص عمودياً في انجازات العلماء المسلمين الابداعية لكي نعطيهم حقهم وما قدموه للإنسانية من أثر ايجابي لا يمكن نكرانه أو تجاوزه باي حال من الأحوال.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر:

1- ابن ابي اصيبعة موفق الدين ابو العباس أحمد بن قاسم، عيون الانباء في طبقات الاطباء، ج2، تحقيق: عامر النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2001.

2- ابن سينا، علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي الملقّب ابن سينا (ت: 427هـ)، القانون في الطب، تحقيق: محمد الضناوي، دار الكتب العلمية، بيروت، 1999. ج2.

3- ابن سينا، علي الحسين بن عبد الله بن الحسن بن علي الملقّب ابن سينا (ت: 427هـ)، الشفاء، تحقيق: نبيل شاكر العرفاوي، بغداد، دار الرشيد.

4- ابن مسكويه، محمد بن علي (ت: 421هـ)، تهذيب الأخلاق وتطهير الأعراق، مطبعة بولاق، مصر، 1892م.

5- الرازي أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا (ت: 311هـ)، منافع الأغذية، تحقيق: عاصم عيتاني، دار إحياء العلوم، 1993.

6- الرازي، أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا (ت: 311هـ)، الحاوي في الطب، تحقيق: محمد محمد إسماعيل، دار الكتب العلمية، ط1، 1421هـ/2000م. ج1.

7- الرازي، أبو بكر محمد بن يحيى بن زكريا (ت: 311هـ)، الفصول، تحقيق: ألبير زكي إسكندر، مطبعة القاهرة، 1995.

8- الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزّالي الطوسي النيسابوري (ت: 505هـ)، إحياء علوم الدين، مطبعة المعارف، مصر، 1969، ج3.

قائمة المراجع:

9- أديب توفيق الفكيكي، تاريخ اعلام الطب الحديث، بغداد، 1993.

10- أسامة ناصر النقشبندي، الاورام السرطانية في المخطوطات العربية وأثرها على علماء العالم الاسلامي وأوربا، بغداد، 2010.

11- جلال مظهر، حضارة الاسلام وأثرها في الترقي العالمي، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1974.

12- جون هيز، المصحات العثمانية في أوربا في القرون الوسطى، ترجمة: نضال الهر، بلا، 1960.

13- حسن عيسى الحكيم، اجازة الاطباء ببغداد في القرن الرابع الهجري، بغداد، 2010.

14- حسين عمر حمادة، صور مشرقة من حضارة بغداد في مجال البيمرستانات، بغداد، 2010.

15-راغب السرجاني، قصة العلوم الطبية في الحضارة الاسلامية، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، 2009.
16-شوقي ابو خليل، دور الحضارة العربية الاسلامية في الحضارة الاوربية، دار الفكر، دمشق، 1996.
17-صباح ابراهيم الشيخلي، أثر بغداد الفكري على الاندلس، الطب أنموذجاً، بغداد، 2010.
18-عامر النجار، في تاريخ الطب في الدولة الاسلامية، ط3، دار المعارف، مصر، 1994.
19-عبد الخالق الصيدلي، معالجة مرضى الامراض العقلية عبر العصور، بغداد، د.ت.
20-علي عبدالله الدفاع، رواد علم الطب في الحضارة العربية الاسلامية، القاهرة، 1974، مؤسسة الرسالة، بيروت 1998.
21-فائق علي عيسى، نبذة تاريخية مختصرة عن الطب النفسي، بغداد، 1993.
22-فرات فائق خطاب، الكحالة عند العرب، منشورات وزارة الاعلام، بغداد، 1975.